ونقل الواحدي في الوسيط عن الزجاج أنهم قالوا ذلك على الهزو ولم يرتضه كثير من المحققين وذكر بعضهم أن حمله على ذاك لا يلائم الجواب نعم قال في الكشف عند قوله تعالى : وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم إنهم دفعوا قول الرسل عليهم السلام بدعوتهم إلى عبادته تعالى ونهيهم عن عبادة غيره سبحانه بهذه المقالة وهم ملزمون على مساق هذا القول لأنه إذا استند الكل إلى مشيئته تعالى فقد شاء إرسال الرسل وشاء دعوتهم إلى العباد وشاء جحودهم وشاء دخولهم النار فإنكار والدفع بعد هذا القول دليل على أنهم قالوه لا عن اعتقاد بل مجازفة وقال في موضع آخر عند نظير الآية أيضا : أنهم كاذبون في هذا القول لجزمهم حيث لا ظن مطلقا فضلا عن العلم وذلك لأن من المعلوم أن العلم بصفات ا تعالى فرع العلم بذاته والإيمان بها كذلك والمحتجون به كفرة مشركون مجسمون وأطال الكلام في هذا المقام في سورة الزخرف .

وذكر أن في كلامهم تعجيز الخالق بإثبات التمانع بين المشيئة وضد المأمور به فيلزم أن لا يريد إلا أمر به ولا ينهى إلا وهو لا يريده وهذا تعجيز من وجهين إخراج بعض المقدورات عن أن يصير محلها وتضييق محل أمره ونهيه وهذا بعينه مذهب إخوانهم القدرية أه ويجوز أن يقال : إن المشركين إنما قالوا ذلك إلزاما بزعمهم حيث سمعوا من المرسلين وأتباعهم أن ما شاء ا تعالى كان وما لم يشأ لم يكن وإلا فهم أجهل الخلق بربهم جل شأنه وصفاته إن هم كالأنعام بل هم أضل ومرادهم إسكات المرسلين وقطعهم عن دعوتهم إلى ما يخالف ما هم عليه والإستراحة عن معارضتهم فكأنهم قالوا : إنكم تقولون ما شاء ا تعالى كان وما لم يشأ لم يكن فما نحن عليه مما شاءه ا تعالى وما تدعونا إليه مما لم يشأه وإلا لكان واللائق بكم عدم التعرض لخلاف مشيئة ا تعالى فإن وظيفة الرسول الجري على إرادة المرسل لأن الإرسال إنما هو لتنفيذ تلك الإرادة وتحصيل المراد بها وهذا جهل منهم بحقيقة الأمر وكيفية تعلق المشيئة وفائدة البعثة وذلك لأن مشيئته تعالى إنما تتعلق وفق علمه إنما يتعلق وفق ما عليه الشيء في نفسه فا تعالى ما شاء شركهم مثلا إلا بعد أن علم ذلك وما علمه إلا وفق ما هو عليه في نفس الأمر فهم مشركون في الأزل ونفس الأمر إلا أنه سبحانه حين أبرزهم على وفق ما علم فيهم لو تركهم وحالهم كان لهم الحجة عليه سبحانه إذا عذبهم يوم القيامة إذ يقولون حينئذ : ما جاءنا من نذير فأرسل جل شأنه الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على ا حجة بعد الرسل فليس على الرسل إلا تبليغ الأوامر والنواهي لتقوم الحجة البالغة تعالى فالتبليغ مراد ا تعالى من الرسل عليهم السلام لإقامة حجته تعالى على خلقه به

وليس مراده من خلقه إلا ما هم عليه في نفس الأمر خيرا كان أو شرا وفي الخبر يقول الله تعالى : يا عبادي إنما أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ولا منافاة بين الأمر بشيء وإرادة غيره منه تعالى لأن الأمر بذلك حسبما يليق بجلاله وجماله والإرادة حسبما يستدعيه في الآخرة الشيء في نفسه وقد قرر الجماعة إنفكاك الأمر عن الإرادة في الشاهد أيضا وذكر بعض الحنابلة الإنفكاك أيضا لكن عن الإرادة التكوينية لا مطلقا والبحث مفصل في موضعه وإذا علم ذلك فاعلم أن قوله سبحانه : فهل على الرسل إلا البلاغ يتضمن الإشارة إلى ردهم كأنه قيل : ما أشرتم إليه من أن اللائق بالرسل ترك الدعوة إلى خلاف ما شاءه الله تعالى منا والجري على المشيئة والسكوت عنا باطل لأن وظيفتهم والواجب عليهم هو التبليغ وهو مراد الله تعالى منهم لتقوم به حجة الله تعالى عليكم لا السكوت وترك الدعوة وفي قوله سبحانه : ولقد بعثنا الخ إشارة